

الافتتاحية**المسارعة الى الخيرات مع الاهتمام بالمظهر**

د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى

ان الفقر والغنى والخمول والشهرة من ظواهر المجتمع البشري، فكل مجتمع يوجد فى الغنى والفقر والخامل والشهير، هذا شىء طبيعى قضاه الله تعالى وان لم نعرف حكمة هذا الفرق ولم نصل الى سره فى الخلق.

وقد يحاول بعض الناس أن يجعل هذه الظاهرة أساسا يقيس به منزلة الفرد فى المجتمع والدين ومكانته فى التكريم والتحقير، وعلى هذا الأساس يعامل مع الانسان ويقف منه. ولكن هذا الاتجاه لا يقره الاسلام، وانه لا يرى أن يكون غنى الانسان أو فقره أساسا لتحديد مكانته فى المجتمع وفى الدين، أو يتم تكريم الرجل أو تحقيره بناء على شهرته أو خموله عند الناس.

ان الاسلام يرى أن هذه الأمور اعتبارية، ولا علاقة لها مع قيمة الانسان الحقيقية، ان منزلة الانسان تتحدد بحالته العملية وبمعنوياته التى يتمتع بها وبالقيم التى يؤمن بها وبالمبادئ التى يسير فى ضوئها.

وأيام نزول القرآن حاول بعض المشركين أن يعطى الرسول ﷺ وزنا للاتجاه المذكور ويعامل مع الناس على أساس مكانتهم الاجتماعية والمادية، ولكن الله تعالى رد على هذه المحاولة وبين للناس أن تقويم الناس بمثل هذه الاعتبارات تقويم جائر لا مكان له فى الاسلام، وأن ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين قد يكونون عند الله تعالى أعلى منزلة وأحسن حالا من غيرهم، ولذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم).

والله تعالى نهى فى الآية الرسول ﷺ أن يزدرى بفقراء المؤمنين ويغلق عينيه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الأغنياء، قال الكواشى: قال قوم من رؤساء الكفار لرسول

الله ﷺ: نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الصنان، وهم صهيب وعمار وغيرهما من فقراء المسلمين حتى نجا لسك فنزلت هذه الآية.

فلا اعتبار لمكانة الانسان الاجتماعية ولا لماله ولجاهه عند الناس، بل المقياس هو الايمان والعمل الصالح والقيم التي دعا اليها الاسلام، فقد يكون المرء لدى الناس فاقد القيمة والاحترام، ولكن الله تعالى يكرمه ويحبه للمعنويات التي فيه، فقد روى عن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر. متفق عليه. والمتضعف: هو الذي يستضعفه الناس ويقهرونه ويفخرون عليه لضعف حاله في الدنيا، أو متواضع متذلّل خامل واطع من نفسه.

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي قال: مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل جالس عنده: ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشرف الناس هذا والله حرى ان خطب أن ينكح، وان شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله ﷺ هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حرى ان خطب أن لا ينكح، وان شفع أن لا يشفع، وان قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا. متفق عليه.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره. رواه مسلم.

والحديث الأول من هذين الحديثين يصور نظرة الناس العامة التي تحدد منزلة المرء بناء على حالته الظاهرة، وكذلك يرشد فيه النبي ﷺ بأسلوب حكيم الى أن مظهر المرء لا يصلح أن يكون أساسا للحكم على منزلته عند الله تعالى، بل هناك مقياس آخر يقاس به قيمة المرء، وهو مقياس يعتمد على الناحية العملية والمعنوية للانسان.

والحديث الثاني اجمال لما في الحديث الأول وتوجيه لعامة الناس الى أن اللازم أن لا يحدد الناس قيمة المرء ومنزلته بالنظر الى الحالة الظاهرة، بل يجب أن يصلوا الى جوهر

الشيء ويتعمقوا فى المعنويات حتى يأتى حكمهم صحيحا عادلا .



حياة الانسان فى الدنيا قصيرة، والرحيل منها الى الآخرة أمر محتوم لا ينبغي أن يشك فيه انسان فانه يشاهد كل يوم بل كل ساعة الجنائز تحمل الى المقابر والأموات تودع فى القبور: (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها، والله خبير بما تعملون).

وفى مثل هذا الوضع يجب على المسلم أن يغتتنم فرصة العمر، ويستعد للحياة الآخرة، ويسارع فى الخيرات، ويحرص على طاعة الله جل وعلا والانقياد له فى جميع الأوامر والنواهي التى جاءت من الشريعة الاسلامية السمحة.

وهذا أمر مهم يستحق أن يهتم به كل مسلم قبل فوات الأوان، فان العصر مليء بالملهيات والمغريات، والشيطان متربص بالانسان، وانه يلهيه ويجره الى المعاصى ويمنيه ويعدده ويسول له حتى يتمادى فى التمرد والعصيان.

ومن هنا نرى القرآن الكريم يحث المسلمين على السبق والاسراع فى أعمال الخير وعلى التزود للحياة الآخرة، يقول تعالى:

(وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين).
ويقول: (فاستبقوا الخيرات).

فهذه الحياة الدنيا وما فيها من المتع والملذات ليست بشئ اذا قسناها بالحياة الآخرة وما فيها من نعيم وتكريم، والمؤمن فى هذه الدنيا قد جاء ليعمل للآخرة ويبتغى مرضاة الله ويدخل برحمته جنة النعيم. ولا سبيل الى ذلك الا باتباع أحكام الاسلام وباطاعة الله تعالى ورسوله فى السراء والضراء.

وكذلك حذر الرسول الكريم ﷺ أمته من التمدى فى الغفلة والعصيان ومن ايثار متع الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، يقول ﷺ: بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا. رواه مسلم.

وقد ترك لنا رسول الله ﷺ في سيرته الطيبة الزكية نموذجاً صالحاً للعناية بالآخرة والمصارعة الى الخيرات قبل مجيء الأمر المحتوم وحلول ساعة الندم. فقد روى البخارى في صحيحه عن عقبة بن الحارث قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس الى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته فخرج عليهم فرأ أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: ذكرت شيئاً من تبر عندنا فكرهت أن يحبسنى فأمرت بقسمته“. والتبر قطع ذهب أو فضة.

وموقف الرسول ﷺ هذا من التبر الموضوع في بيته واسرعه عليه السلام في انفاقه يدعونا الى تفكير عميق والى محاسبة نفوسنا في مواقفنا من متاع الحياة الدنيا، فان هذه الحياة بمتعتها وشواغلها قد ملكت علينا مشاعرنا وألهتنا عن الاستعداد للآخرة وعودتنا على التأخير والتسويق، وعلى أن ننظر الى ساعات العمر على أنها تمتد وتدوم كما نريد، ولكن الأمر ليس في الحقيقة كذلك، بل الانسان معرض للفناء في أية لحظة، والموت قد يباغته من حيث لا يشعر.

ومن هنا رأينا الصحابة رضی الله عنهم، كانوا – بفضل تلقى التربية المباشرة من النبي عليه السلام – في غاية الحذر من الانشغال بالحياة الدنيا، وكانوا سابقين مسرعين الى الخيرات كما نعرف من كتب الحديث والسيرة: عن جابر رضي الله عنه قال قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت ان قتلتُ فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل. متفق عليه.

هذا هو الايمان بالحياة الآخرة وبنعيمها، وهذه هي المصارعة الى الخيرات والاستهانة بملذات الحياة الدنيا حيث ان الانسان لا يهاب الموت. والمسلم مطالب بهذه القوة الايمانية، وبأن ينظر الى الحياة النظرة التي لمسها عند الرسول ﷺ وعند صحابته، وبأن يؤثر دائماً الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، واتباع أوامر الاسلام ونواهيه على اتباع الأهواء والأغراض، فان هذا هو مقتضى الاسلام، وهذا هو الحل الوحيد للمشكلات التي تواجه المسلمين من هنا وهناك.



يحتاج الانسان في مجتمعه الى المعاملة مع غيره، فانه في كثير من الشئون الاجتماعية

والاقتصادية يتعامل مع الآخرين، يأخذ منهم ويعطيهم، ويطلب منهم ويؤدى اليهم، وذلك بناء على كونه مدني الطبع محبا للاجتماع مفطورا على التعامل والتبادل فى المصالح المشتركة. والاسلام يعترف بهذه الحاجة للانسان، وينظر الى المجتمع نظرة واقعية يسهل بها توجيه الانسان الى ما فيه الخير والسعادة.

يريد الاسلام أن يتم التبادل بين الناس على أساس سليم عادل، وكل انسان يعامل مع أبناء جنسه مع مراعاة الظروف والأحوال، ومع الحفاظ على المبادئ والقيم الانسانية ومع احترام المشاعر والأحاسيس، وذلك أن الكتلة البشرية من أصل واحد، وهى تتقاسم المصالح والمنافع فيما بينها، ومن هنا يجب أن يكون أساس المعاملة فيما بينها على العدالة والأمانة، وعلى المودة والتسامح، وعلى الايثار والتضحية، حتى يسود المجتمع جو من الهدوء والطمأنينة، ويعم بين الناس شعور المواخاة والمواساة، وتعيش جميع طبقات المجتمع فى جو من التآلف والتعاون، ولا يحصل بينها تناحر وتشاجر فى سبيل الحصول على المادة حتى يتناسى الانسان أواصر المودة والمحبة التى تربطه مع أبناء جنسه، ويصرف بصره عن حاجة الآخرين وظروفهم.

والتعامل بين بنى آدم اذا تحقق فانه يجب أن يتحقق على أساس الأمانة والعدالة، واذا كانت هناك ظروف تدعو الى الملاطفة والملاينة فمن الأحسن أن يراعى الانسان هذه الظروف، ويأخذ بالجانب الأيسر ويميل الى العطف واللين.

وللاسلام توجيهات سامية تضمن النزاهة والسلامة للمعاملة التى تجرى بين الناس، والهدوء والطمأنينة للمجتمع الذى يتمسك بها، والخير والسعادة للأفراد الذين يلتزمون بها. ومن هذه التوجيهات أن الانسان اذا أعطى أحدا شيئا فالواجب أن يعطيه تاما غير ناقص، واذا أخذ شيئا فالواجب أن يأخذ تاما غير زائد، ولا يحاول فى هذا التبادل الاستئثار ليس من حقه، يقول الله تعالى: (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم.)

والقسط هو العدل والسوية، والآية الكريمة تأمر المسلمين بايفاء الكيل والوزن، وتمنع من البخس والنقص طمعا فى أخذ ما لا يستحقه الانسان.

ويقول تعالى: (ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين). وفي هذه الآية تصوير رائع لنفسية الطامعين الذين يتكالبون على المادة، وبيان لاتجاههم الأناني الذي يسيطر عليهم، فلا ينظرون الا الى مصالحهم، ولا يطلبون الا حقوقهم، أما حقوق الآخرين ومصالحهم فهم عنها فى غفلة واعراض. والآية الكريمة اذ تنعى على مثل هذا الاتجاه فانها تهدد الذين يسيطرون على أموال الغير بدون حق، وتذكرهم بموقفهم أمام الله تعالى حيث يحاسبون على كل صغيرة وكبيرة.

وكما أن الاسلام أمر المسلمين بايفاء الكيل والوزن فانه كذلك يأمر بالسماح واللين فى البيع والشراء وفى الطلب والتقاضى، فقد روى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله رجلا سمحا اذا باع، واذا اشترى، واذا اقتضى. رواه البخارى.

ويبشر بالأجر العظيم الذين يأخذون جانب الرفق واللين فى مطالبة الدين أو يضعون الدين عن المعسر، فقد روى عن أبى قتادة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه. رواه مسلم وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله. رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبى مسعود البدرى قال قال رسول الله ﷺ: حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا، وكان يأمر غلمانة أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه. رواه مسلم. هذه هى توجيهات الاسلام للمسلمين فى سبيل المعاملة مع الآخرين، ولا شك أنها تضمن الخير والسعادة للمجتمع، وتحمل الانسان على التعاون والتسامح مع أبناء جنسه، وتحث على الأخذ باللين والرفق بالمعسرين والبائسين. وانسان اليوم فى حاجة ماسة الى مثل هذه التوجيهات فى العصر الذى سيطر فيه الاتجاه المادي على كل شيء حتى يعيش قريير العين ناعم البال.